

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ١٨ ) : الحديث الشريف ( من علم علماً  
فله أجر من عمل به ..... )

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-١٦

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،  
وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ،  
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى  
جنات القربات .

### التجارة مع الله أربح شيء في الحياة :

أيها الأخوة الأحباب ؛ الحديث اليوم هو قول النبي صلى الله عليه وسلم :

**(( من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل شيئاً ))**

[ابن ماجه والطبراني عن معاذ بن أنس]

لذلك الله عز وجل يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة الصف الآية : ١٠-١٢]

للتوضيح : عقب عيد الفطر السعيد ، زرت أحد أقربائك ، عندهم ابن صغير ، قال لك : أنا معي  
مبلغ عظيم ، كم تقدر هذا المبلغ ؟ قد يكون خمسين ديناراً أو مئة دينار ، جمع عيدياته من  
أقربائه ، لو أن مسؤولاً كبيراً بالبنّتاغون صرّح : أعددنا لحرب العراق مبلغاً عظيماً ، نفس  
الكلمة قالها طفل : قدرتها بمئة دينار ، أو خمسين ديناراً ، وقالها مسؤول كبير بالبنّتاغون قدرتها  
بمئتي مليار دولار ، فإذا قال الله عز وجل خالق الأكوان :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٣]

معنى ذلك الفوز العظيم أن تعرف الله ، إنك إذا عرفته عرفت كل شيء ، وإن فاتتك معرفته  
فاتك كل شيء ، فلذلك الله عز وجل يريدنا أن نتاجر معه ، أي التجارات بالأرض الربح بها يقدر  
بائتي عشر أو خمسة عشر بالمئة ، أعلى شيء عشرون بالمئة، إذا كان بالمئة مليار ، فهذا شيء  
لا يصدق .

**((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ))**

[الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة]

**((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))**

[البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة]

أي أربح شيء في الحياة أن تتاجر مع الله ، فهذا الحديث :

**(( من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل شيئاً ))**

[ابن ماجه والطبراني عن معاذ بن أنس]

**الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم :**

لكن لئلا يتوهم أحدكم ، أخي أنا لست داعية ، أنا لست دارساً ، أنت ألا تحضر خطبة الجمعة ؟ ألم تستوعب شيئاً من الخطبة ؟ لا آية ، ولا حديثاً ، ولا قصة ، ولا حكماً فقهياً ، أي شيء استوعبته أعه مساء مع أولادك ، مع زوجتك ، أو بالمحل مع شركائك ، أو بلقاء أسبوعي مع أصدقائك حدثهم بما سمعت ، هذه الدعوة إلى الله تعد فرض عين على كل مسلم ، فرض عين ، أنا أقول لإنسان مثلاً : لماذا تصلي ؟ يقول : الصلاة فرض يا أستاذ ، وأنا أؤكد لك الآن أن الدعوة إلى الله ، لكن في حدود ما تعلم فقط ، ومع من تعرف ، الدعوة إلى الله في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف فرض عين على كل مسلم ، والدليل :

**(( من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل شيئاً ))**

الآية :

**﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾**

[سورة فصلت الآية: ٣٣]

**(( يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس ))**

[الحاكم عن أبي رافع]

**(( خير لك من حمر النعم ))**

[أبو داود عن سهل بن سعد الساعدي]

**((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من الدنيا وما فيها ))**

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

هذا كلام رسول الله ، أقول لكم كلمة : سيدنا سعد يقول : " ثلاثة أنا فيهن رجل - أي بطل - وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ، ما صليت صلاةً فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها ، ولا سرت بجنابة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها - الشاهد - وما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى " لذلك :

**((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من الدنيا وما فيها ))**

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

فيها مليارات ، فيها قصور ، فيها مركبات ، فيها طائرات خاصة ، فيها أشياء لا تعد ولا تحصى ، خير لك من الدنيا وما فيها ، وخير لك من حمر النعم ، وخير لك مما طلعت عليه الشمس ، هذه الدعوة إلى الله فرض عين ، هناك شاهد يؤكدها :

## ((يَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ))

[البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الشاهد الثاني القوي جداً :

﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآية: ١-٢]

أقسم الله لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن ، فجاء جواب القسم :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

ورحمة الله في إلا :

﴿ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية: ٣]

فالدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، فرض عين على كل مسلم ، في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف .

هناك إنسان من إخواننا الكرام يجلس مع أهله ، مع زوجته ، مع أولاده ، مع أصحابه ، مع أقرانه ، مع أصدقائه ، بالعيد ، بغير العيد ، سهرة أسبوعية ، هذه الجلسة :

(( لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله

فيمن عنده ))

[مسلم والترمذي عن الأغر أبو مسلم]

(( ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

الحيوان إذا مات ومضى على موته فترة ، له رائحة لا تحتل ، فهذا المجلس اجعله مجلس أنس ، مجلس ذكر ، مجلس رحمة ، الله قال :

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٥٣]

## من ذكره الله منحه الأمن و الطمأنينة :

أيها الأخوة ؛ تقول لي : أنا أمي ، والله عندي أخ بالشام أمي لا يقرأ ولا يكتب ، يأخذ عشرة سيديات لأقربائه ، ويقول لهم : اسمعواهم ثم أعيدوهم لي ، ليعيرهم لإنسان آخر ، أحضر لي إلى المسجد عدداً من الأخوة و التزموا عندي ، وهو غير متعلم كلياً ، أنت إما أن تتكلم أو أعط شيئاً يسمعه الإنسان ، أو يقرؤه ، اعمل حركة لوجه الله ، أنت يجب أن تكون صاحب رسالة ، لا تشعر بقيمتك الإنسانية ، لا تشعر أنك مخلوق أول عند الله ، إلا إذا معك رسالة ، إذا لم يكن معك رسالة فالحياة تنقضي بتفاهة ، أي :

(( إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن الحسين بن علي]

اسمع كلام الناس بلقاءاتهم لا يوجد شيء ، أخبار فقط ، بعد ذلك لا تستطيع أن تقف لأنه لا يوجد خبر سار ، أي إذا كان انغمست بالأخبار يجب أن يكون لك حال مع الله ، نشاط ، نشاط يسمى بك ، أنت لك شأن خاص ، ولك شأن عام ، إذا كنت مهتماً بالشأن الخاص فقط لا ترقى عند الله ، لا ترقى عند الله إلا إذا اهتمت بالشأن العام ، الشأن العام يعني الدعوة إلى الله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب الآية : ٤٥ - ٤٦ ]

فكلما حضرت خطبة يجب أن يكون معك دفتر صغير بجيبك ، تكلم الخطيب عن آية، وكان تفسيرها رائعاً كتبها عندك ، ذكر قصة ، ذكر حكماً فقهياً ، الآن أنت جالس في البيت أخواتك زاروك ، أصدقاؤك زاروك ، هناك عيد ، عملنا زيارة ، حتى لا يكون كلامنا ليس له معنى إطلاقاً ، وإذا انتهى المجلس قام عن أنتن من جيفة حمار ، حتى يكون المجلس مباركاً اذكر الله عز وجل :

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾

إن ذكرت الله يذكرك الله ، وإن ذكرك الله يمنحك نعمة الأمن وهذه النعمة تتفرد بها الدليل :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ٨١ - ٨٢ ]

إذا ذكرك منحك الرضا ، إذا ذكرك منحك الوفاق الزوجي ، إذا ذكرك أعانك على تربية أولادك ، كان أولادك قررة عين لك ، والله هناك عطاءات في الدين أقسم لكم بالله تغدو الدنيا جنة ، هناك راحة نفسية ، و استقرار ، و موقف قوي ، و شخصية قوية ، و رؤية بعيدة ، و هدف واضح .

## الفرق بين المؤمن و غير المؤمن فرق كبير :

إذا الفرق بين المؤمن و غير المؤمن فرق كبير جداً ، الدليل :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨ ]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : ٣١ ]

والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من أن يستوي عنده المحسن والمسيء ، والمستقيم والمنحرف ، والمقبل والمعرض ، مستحيل وألف مستحيل .

مرة كنت بجلسة ، والجلسة فيها من أطياف عديدة ، أحدهم قال لي - يبدو أن عقيدته بعيدة عن الدين كثيراً جداً - : تقول : إن المؤمن سعيد ، لا ليس سعيداً ، مثله مثل غيره ، قلت له: تفضل اشرح ، قال : إذا كان هناك موجة حر شديدة ، يتحمل الحر مثل أي إنسان آخر ، وإذا كان هناك

موجة غلاء يتحملها مثل غيره ، أين هي السعادة ؟ الحقيقة أراد أن يلغي هذه الفكرة ، قلت له : إذا كان الإنسان فقيراً جداً ، أي بمقياس بلدنا دخله خمسة آلاف ، عنده ثمانية أولاد ، بيته بالأجرة ، عليه دعوة إخلاء ، لا يكفيه الراتب خمسة أيام ، له عم معه خمسمئة مليون ، ولا يوجد عنده أولاد ، ومات بحداث ، ما الذي حصل ؟ فجأة انتقل لهذا الفقير خمسمئة مليون ، لكن قبضهم بعد سنة نتيجة إجراءات الروتين ، لماذا هو في هذا العام من أسعد الناس ؟ ما أكل لقمة زيادة ، ما اشترى ثياباً جديدة لكنه دخل بالوعد ، اسمع الآية الآن :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص الآية : ٦١]

المؤمن قد يكون فقيراً ، قد يكون ضعيفاً ، قد يكون عنده مرض ، وقد يعاني ما يعاني لكن وعد الله له بالجنة يمتص كل متاعه :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨]

هناك ملمح بالآية دقيق ، الله لم يقل : أفمن كان مؤمناً كمن كان غير مؤمن ، كمن كان فاسقاً المعنى أن الذي لم يؤمن بالأعم الأغلب يفسق .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة الجاثية الآية : ٣١]

والله زوال الكون أهون على الله من أن يجعل المحسن كالمسيء .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة الجاثية الآية : ٣١]

## الدعوة إلى الله أحد أركان النجاة :

الآن قد يقول أحدكم : بالآخرة طبعاً ، لا ، بالدنيا ، في الدنيا قبل الآخرة والدليل :

﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

إذاً الدعوة إلى الله كفرض عين شاهدها الأول سورة العصر :

﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآية : ١ - ٢]

جواب القسم خاسر ، إلا ، عندنا أربع كلمات ، سماها الإمام الشافعي أركان النجاة :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالنَّحَقِّ ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

هذه الدعوة إلى الله كفرض عين .

﴿ تَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

الآن من الآن فصاعداً حضرت خطبة جمعة ، يجب أن يكون هناك قلماً وورقة في جيبك أعجبك هذا المثل اكتبه عندك ، أعجبتك الآية مع تفسيرها ، هذه القصة الرائعة تتذكرها أنت ، جلست مع أهلك مع أصدقائك ، مع شركائك ، في سهرة ، في لقاء ، في نزهة ، معك شيء تتكلم به ، والله كلمة تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان .

مرة أحد كبار المشركين زعيم غطفان نعيم بن مسعود جاء ليحارب النبي الكريم في الخندق ، جالس بالخيمة ، فكر ، أعتقد أنه فكر أقل من دقيقة ، قال : لماذا جئت إلى هنا ؟ كي أقاتل هذا الرجل ؟ - يقصد رسول الله - ماذا فعل ؟ هل سلب مالا ؟ لا ، هل اغتصب عرضاً ؟ لا ، هل سفك دماً ؟ لا ، خاطب نفسه ، أين عقلك يا نعيم ؟ أين عقلك ؟ فقام من توه ، وتوجه إلى معسكر النبي ودخل على رسول الله ، فوجئ به النبي ، قال له : نعيم ؟ قال : نعيم ، قال له : ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال له : جئت مسلماً ، قال له : خذل عنا .

وأنا أعتقد بحسب دراستي ، أن أحد أسباب انتصار في الخندق إسلام نعيم بن مسعود ، لا أحد يعرفه فقام بدور ذكي جداً ، قام بدور مع اليهود ، ودور مع الكفار ، فجعلهم يختلفون فيما بينهم ، والله عز وجل ختم بالنصر .

فهذه المناقشة يسميها علماء الأدب أو الأدباء المونولوج ، الحوار الذاتي ، حاور نفسك ، فإله عز وجل قال بالدعوة كفرض عين :

﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

كلما قرأت سورة العصر قف عند

﴿ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

أي الدعوة إلى الله فرض عين ، أحد أركان النجاة الدعوة إلى الله ، لكن مرة ثانية : في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف ، لا يلزمك دكتوراه بالشرعية ، ولا تقرأ خمسين كتاباً ، سمعت من الخطيب كلمة ، فكرة ، حديثاً ، آية ، قصة مؤثرة ، اكتبها عندك ، خلال الأسبوع إن التقيت مع أحد ما عندك شيء تتكلم به .

ارتباط الدعوة إلى الله باتباع رسول الله :

الآية الثانية كفرض عين :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف الآية: ١٠٨]

معنى ذلك أن الذي لا يدعو إلى الله على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله ، استنباط دقيق جداً .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

[سورة آل عمران الآية : ٣١]

أما الدعوة إلى الله كفرص كفاية فموضوع ثان ، إذا قام به البعض سقط عن الكل هذه تحتاج إلى تفرغ ، وتعمق ، وتبحر ، وتحتاج إلى قدرة لترد على أي شبهة ، فذلك هذه الدعوة إلى الله من اختصاص كبار العلماء ، لا من اختصاص كل مسلم ، ببساطة ، لكن احتفظ دائماً بدفتر صغير وقلم ، كلما سمعت شيئاً مؤثراً أكتبه عندك ، و عندما تكون بجلسة تتكلم عن نقطتين أو ثلاث ، أحياناً هناك قصة مؤثرة جداً ، أحياناً تعليق على كلمة ، أحياناً مشهد من مشاهد الصحابة الكرام ، فأنت اطلب العلم ، وانقل علماً للآخرين ، حتى الله عز وجل ينفع بك المسلمين .

لكن أذكركم بقاعدتين أساسيتين : القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، أي افتح قلب المدعو بإحسانك ليفتح عقله لبيانك ، فالإحسان قبل البيان ، والقدوة قبل الدعوة ، والأصول قبل الفروع .

### والحمد لله رب العالمين